العبرة بالخواتم وليس بالبدايات

في الأيام الأخيرة ظهر نشاط معادٍ لنا في وسائل التواصل العصرية، وهو ما قد بدأ يتقيأه المدعو تسفاظيون وآخرين كثيرين ساروا على نهجه، هم من بني قومه وملته، فدعوا ما قد دعوا بصريح القول إلى قتلنا وتشريدنا وسحقنا وإبعادنا عن وطننا، حتى تكون إرتريا دولة نصرانية خالصة أبدًا للتجراي تجرينيا، وفي مقابل هذا الغي والعجرفة، التزم الغالب منا أدب عدم مجاراة هؤلاء السفهاء الذين غدوا ينبحون كما تنبح الجراء في الدمن خوفًا على نفسها، ولأن لكل شيء حد لا

ينبغي أن يتجاوزه، فقد أسهمتُ بكلمات مقتضبات كما فعل غيـري مـن الفضلاء مع التفاوت بيننا، وأن ما قلته في هذا هو التالي:

"المواجهة الفاصلة قادمة، وسوف نرى عندئذٍ مَنْ سيكون له شأنٌ، فقد قلتم كذلك يوم كنتم تُقبلون قدم الهالك هيلى سيلاسـى، ثـم أقحمنـاكم في ثورة أسـقطت معبُـودكم، ولأنكـم تُحسـنون السـرقة والتلـون فقـد سرقتم جهودنا، وهي خطيئة ارتكبناها لما تـولت أمرنـا قيـادات جاهلـة بدوية قبلية، ولن نكرر ذلك، وغدًا لنـاظره قريـب." انتهـى مـا قلتـه. هنـا حصل تعليـق كـثير ربمـا زاد عـن حاجـة مقـالي المقتضـب الـذي أعلاه مباشرة، ومما يُلفتُ النظر أن بعض التعليقات ثارت ضـد جزئيـة قـولي: (..... وهي خطيئة ارتكبناها لما تولت أمرنا قيادات جاهلة بدوية قبليـة)، فهؤلاء الثائرون لم يُعلقوا على بقية القول الذي هو أصـل ولـب المـراد من المقال المُقتضب، حتى بلغ ببعضـهم الأمـر إلـى حـد الإسـاءة إلـي جهلا وغرورًا، فرأيت صرف النظر عـن ذلـك، ثـم اسـتدركت مـع تـوالي التعليقات التي غلب على كثير منها منطق الجهل المركب من قبيل قـول

بعضهم: (هذا خط أحمر)، فعلمتُ أن الكثير منا ما زال يعيش عقلية ستينات وسبعينات القرن الماضي، وهو أمر يلزمنا الوقوف عليه لمعالجة معضلاته ببيان يعض مثالبه، بصرف النظر عن نياتهم التي أمرها إلى الله وحده، وليس إلينا منها أي قدر لجهلنا بها ما لم يصرح به المعني، وفي هذا قلتُ ما يعتبر قولاً مجملاً هو التالي:

إنني احترم كل الإخوة والأخوات الذين كتبوا في الشأن الذي بين أيدينا، احترم أشخاصهم الكريمة النبيلة، وأفكارهم التي أرادوا بها الذب عن الحمى، وأعلم يقينا أن ليس بيننا عداوة البتة، بل كلنا إنما نقول من أجل الدفاع عن هذا الوطن الجامع السليب ورموزه الوطنية.

نعم، رموزه الوطنية من المفكرين والسياسيين والمقاتلين، ولئن حصل بيننا سوء تفاهم كما بدا، فليس هو المراد لذاته، بل هي طرائق تعبير تصدر عن كل أحدٍ منا بحسب تصوره الفكري الذي أصله مكونه الثقافي، فهذا يقرأ الحدث التأريخي والظاهرة الكونية من زاوية بعده الثقافي المؤسس على ما لديه من علم ومعارف، وكذلك الآخر، وذلك من قبيل أننا لنا تفسيرنا للخسوف والكسوف في دين الإسلام دون أن

نُنْكر مسائل الظـواهر الطبيعـة الكونيـة الفيزيائيـة مثلاً، وآخـرون ممـن ليس لديهم ما لدينا من علوم ومعارف دينيـة مؤصـلة، يقـف تفسـيرهم لحوادث التأريخ وظواهر الطبيعة عند حـد مـا لـديهم مـن علـوم ماديـة فقط.

ولكن، وإن كانوا قد تصدوا لما ذهبـتُ إليـه ذبـاّ عـن الحمـى، إلا أن عـاطفتهم غلبـت علـى بعـد النظـر لقـراءة لِمَـا هـو كـائن فـي واقعنـا المعاصر البئيس بناء على ما كان في الأمس، ومع ذلك، فمـن الجميـل بينما أرادوا نقدي إلى حد الإساءة بألفاظ منكرة هي من أصل الماضي البئيس، قد أثبتوا ما قلتُهُ من وصف البداوة للبعض الذي كان له أثرٌ فـي مسـيرة كفاحنـا المسـلح، فقـد قـال أكـثرهم: "إن تلـك القيـادات الـتي أخلصت حق الإخلاص لوطنها قد خـدعها الـذين انحـدروا مـن المـدن"، ولم يُدرك هؤلاء الناقدين لي، أنني لم أقـل غيـر ذلـك أبـدًا تصـريحا أو ضمنًا، ولم أطعن البتة على أشخاص أولئك السـلف، لا فـي إخلاصـهم، ولا في شجاعتهم ومرؤتهم، ولم يعلم هؤلاء بأن البدوي يخـدعه عـادة الحضري المتعلم ما لم يكن الجميع على منهج واحدٍ وهدف واحدٍ، ولم

يعلم أيضًا هؤلاء، أن الفرق بين الشجاعة والصدق التي يتمتع بهما البدوي في الغالب، ليست معيارًا للأهلية القيادية الناجحة، وهو ما قد حصل بالفعل، فالشجاعة ورفض الذل والمهانة والضيم، من خصال المروءة وتمام مكارم الأخلاق، بيد أن هذه المحامد مالم تُصقل بالعلم والمعارف التي بها تُعرفُ الأهداف الحقيقية المصيرية، وبها يُمَيَّزُ بين الشريك والصديق الصدوق، والآخر العدو والكذوب وما يترتب على ذلك من تخطيط وتنظيمٍ وإدارة دقيقة، ومعرفةٍ للوسائل والآليات اللازمة لإنفاذ الأهداف، فهي وإن ظلت صفات حميدة، بيد أنها لم ولا ولن تُرشح المتصفين بها أبدًا لقيادة أمة ما، وهي ذات الخصال التي كان مجتمع العرب البدوي يتمتع ويتفاخر بها دومًا، ولكن عند حلول الفتن في ساحاتهم، يتحكم عليهم باعث الجهالة والعجرفة، فيقتل بعضهم بعضًا في ناقة أو ماء حتى يفني الجميع من أجل حمية جاهلية.

ولمَّا لم يكن الجميع على قلب وعقل رجل واحدٍ، فقد كان نقد البعض الآخر غاية في الأدب وجميل القول بلغة مهذبة وراقية، ليس

فيها سباب ولا تنقيص ولا اتهام، ومع ذلك فقد أعطى هؤلاء كل شيء حقه مما يقبلونه وما لا يقبلونه، وهذا هو النقد الذي يجب أن نستمع إليه ونقبله، وليس هذا الفارق إلا بحسب تفاوت الأهلية العلمية التي مكنتهم من القراءة الصحيحة، فتصوروا ما كان وما هو كائن وما سيكون، وطبيعة الأهداف الرئيسة وأولوياتها، فهم وحدهم المُرشحون للعمل بآليات ووسائل تمكين الأهداف ولو بعد حين.

لهذا لسنا نختلف على أن البدوي شجاع، وأنه ليس له حسابات متعددة، بيد أنه ضيق الأفق، ومن ها هنا كانت الاعتقالات والاغتيالات التي مارستها جبهة التحرير ضد بعض أفراد الثورة دون مبرر تأريخي محفوظ، ثم تُوِّجتْ تلك الاعتقالات والاغتيالات، بحرب أهلية ماحقة بين صفوف جبهة التحرير الإرترية رائدة الكفاح، والفصيل الذي انشق عنها، فما تلك الاعتقالات والاغتيالات إلا خطيئة استُدرج إليها من قام بها وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، وأن تلك الحرب الماحقة التي حصدت آلاف الرجال، كانت أعظم هدية قدمناها على صحاف من ذهب للأعادي المحليين والإقليميين والدوليين بجهلنا وحماقتنا لصناعة واقع

اليوم دون جدل بين العقلاء النابهين، وقد تواصلت الحرب بين الأشـقاء في سياق تأريـخ دامٍ، حـتى تـم إسـدال السـتار بهزيمـة جبهـة التحريـر الإرترية التي كانت تُنعتُ في الدوائر السياسية الدوليـة والإقليميـة بـذات خصائص عربية وإسلامية.

وبعد أن قضى القوي مناًّ على الضعيف مناًّ بالأصالة أو بالوكالة، مع ما كان بينهم في الأصل من همٍّ ومصيرٍ مشتركين، ومع ما كان وما زال من حقيقة ثابت العدو المحلي رميه لنـا جميعـا مـن قـوس واحـدة أبـد الدهر كلما تمكن، فهو لذلك قد قضى على أصل رمزنـا النضـالي الـذي قد ساقه كقطيع أنعام إلى الحدود السودانية عـام 1981 حيـث سـحب قائده مسدسـه فـألقى بـه أرضـاً معلنـا هزيمـة جبهـة التحريـر الإرتريـة العملاقة التي بكى عندئذ جيشها الأشاوس دما بدلا من دمـع لمـاَّ علـم أن بعض قياداته من حزب العمل الشيوعي الذي توهم تقـديم النضـال الأممي على النضال الوطني باع رمزنا الوطني، ذلك لجهله بفقه الواقع من الناحية العملية، وكذلك كان قبله الحزب الثوري الشيوعي في قوات

التحرير الشعبية لماَّ توهم تقديم النضال الأممي على النضـال الـوطني جهالةً.

وليت الأمر توقف عند سوء فعال جهالة الحزبيـن الشـيوعيين، فقـد لحقت بهما حركة الجهاد الإسلامي الإرتري لما كانت من ذات المسـتوى الفكري وإن اختلفت عقائدهم، إذ لكل حزب في حركة الجهاد ارتبـاطه الخـارجي مـن الناحيـة العمليـة المحسوسـة الـتي ترجمـت علـى أرض الواقع، وليس ذلك إلا لجهلهم بفقه الواقع.

فقد كان السلفيون يعملون بإيحاء السـلفيين الـداعمين لهـم، وكـذا الإخـوان المسـلمين بقواعـد تنظيـم الإخـوان المسـلمين الـداعم لهـم، فهؤلاء وهؤلاء قد قدموا تلك الالتزامات الأدبية على واقع الأمـة الملـزم بالوقوف على حدود واقع المطلـب الإرتـري وضـروراته، كـل ذلـك مـن الناحيـة العمليـة، ولـم يكـن ذلـك عـن قصـد وإرادة الغـالب فيهـم مـن الأعضاء والمؤيدين، بيد أنهم مـا كـانوا أهلاً لفهـم هـذه الحـوادث كمـا تبينت لهم بعد ما وقع الشر.

وبين زمرتي ملحدي الثورة الإرترية الـذين عملـوا بإيحـاءات فكريـة مباشرة وغيـر مباشـرة، وبعلـمٍ وبغيـر علـمٍ مـن جهـة أصـحاب: (نحـن وأهدافنا) من أجل صناعة واقـع اليـوم، كـانت ثَـمَّ قـوة مـن المغفليـن النافعين الذين كانوا يسيرون دون وعيٍ ولا تمييزٍ بيـن النضـال الـوطني والنضال الأممي، وغالب هؤلاء كان ممن تم إسكارهم بفعل القــوارير والقوارير، وكذلك كان عددٌ كبيرٌ فـي حركـة الجهـاد الإسـلامي الإرتـري ممن لم يسبق لهم عمـل ضـمن جماعـاتٍ منتظمـةٍ فـي نمـطٍ حزبـيٍّ، كالسلفيين الـذين غلَّفـوا السـلفية بالقبليـة، والإخـوان المسـلمين الـذين يعملون بموجب تعاليم مدرسة الإخوان المسلمين لما يقرب مـن قـرن، فهؤلاء البَيْن، قد خدعتهم دعـوة الجهـاد فـي سـبيل الله بـراءة، بيـد أن الأصل لأن يُخـدَعُوا، كـان تخلفهـم العلمـي والمعرفـي بسـبب البـداوة والقبلية.

وبـتراكم جملـة هـذه الجهـالات أصـبحت السـاحة الإرتريـة خالصـة للأعـادي مـن كافـة فصـائل جبهـة التحريـر الإرتريـة ببعـدها الثقـافي والسياسـي والعسـكري والأمنـي والجمعـي، ثـم تلتهـا حركـة الجهـاد

الإسلامي الإرتري، لاستكمال حلقات تمكين تنظيم الجبهة الشـعبية لمـا كان قد بدأه في عهده الثـوري منـذ إصـداره لكتـابه: (نحـن وأهـدافنا)، فكانت محادثات أتلانتا بقيادة اليهود والكنيسة الإيفانجليكية التي أنتجــت المحافظين الجدد في القيادة الأميركية، تلـك المحادثـات الـتي اعـترفت فيها إثيوبيا للمرة الأولى بـالحق الإرتـري الـذي أعقبـه اصـطناع هزيمـة الجيش الإثيوبي.

وقـد كـانت تلـك الأحـداث مفـاجئة لمؤسســات العــالم السياســية والاستخبارية باندحار الجيش الإثيوبي الذي كـان يزيـد عـن ربـع مليـون جندي من كافة القوى المدججة بأحد الإنتـاج الحربـي السـوفيتي الـبري والجويٍّ والبحريٍّ والقوات المساندة، وقد كـان انـدحارها دون مقاومـة ظاهرة، والسبب في ذلك، كان إجبار رئيـس الدولـة والجيـش الإثيـوبي إلى القبول باللجوء إلى حيث حسم سلفا لأن يقضـي مـا بقـي لـه مـن العمر، وهو اللجوء الذي تزامن مع سحب جنرالات الجيش الإثيوبي من الساحة الإرترية تمهيداً لبلوغ قوات الجبهة الشعبية إلى أسـمارا محـررة لإسدال الستار على الاستعمار الإثيوبي لإرتريا.

بقراءة كل هذه التحولات العظيمة، يبدو جلياً أن الفـارق كـان كـبير جداً بين القدرة الفكرية والتخطيط والتنظيم للقيادات المدنية المتعلمـة، والقيادات الـتي كـانت تتحكـم عليهـا عقليـة البـداوة والقبليـة وإن كـانت مخلصة لوطنها، وهمـا خصـلتان متلازمتـان، لسـت إذاً هنـا أعنـي أولئك الأسود الأشاوس الذين استشهد بعضهم من أجل حاضر ومستقبل هذا الوطن الجريح، بل أعني بعد التفكير والتخطيط والتنظيـم الـذي لا ولـن يتحقق إلا بقراءة ثاقبة لمثل هذه التحولات التي تنتج عنها عادة معرفة الأعادي الحقيقين الإستراتيجيين، والآخرين الذين من الممكن تحيـدهم ومساومتهم، وبناء على ذلك، يتم تحديد الأهـداف الإسـتراتيجية الـتي لا حيدة عنها أبداً، والأخرى الضرورية في الزمـان والمكـان، والعمـل مـن أجل تحقيقها في المستقبل، أو الذب عنها في الحاضـر، ذلـك مـن أجـل ضمان مستقبلٍ أفضلٍ بترتيب أولويات المطالب الوطنية، ثم العمل دون استحسار بكافة المُتاح من الوسـائل والآليـات الثابتـة والمتغيـرة. نعـم، أليست القيادات بدوية المخبر، قد أعاقت بعض المثقفين المدنيين حـتى أقصتهم عن الساحة بشتى الطرق التي نعرفها حق المعرفة، ثـم هـي

أقصاها أنصاف المثقفين الملحدين الذي تحولوا إلى شبه عملاء للجبهة الشـعبية الـذين توهمـوا بالاشـتراكية الأمميـة فـي مـن قـوات التحريـر الشعبية وجبهة التحرير الإرترية خدمة لأهداف التجراي تجرينيا، ومعهـم بعض المُغفلين الذين قد تم استغلالهم بالقوارير والقوارير، فكانوا في حال سكر شبه دائمٍ لمأَ يَدُروا بما كان يجري حولهم، ثم قضـت الجبهـة الشعبية مَن بَقيَ من هؤلاء وأولئك بعد الاستقلال بطرق مختلفة علنيـة وسرية نعلمهـا جميعـاً. هنـا نـأتي إلـى محـاورة شـانئ كلامـي الـذين أسقطوا أمهـات الأمـور ليطنطنـوا بخطابـات عاطفيـة شـبيهة بخطابـات الثكالى في الدمن، وهذا يوحي ببدائية الفكر السياسي الذي يُركِّزُ دوماً على جزئيات ليست من أمهات الأمور، طارحين الأهم، فقد قالوا بلسان حالهم، أن تجربة جبهة التحرير الإرتريـة خاصـة بهـم دون سـواهم مـن بين سائر الشعب الإرتري، وليس هذا التصور العقيم جديـد علينـا، فقـد سمعناه كثيرا، فلهؤلاء أقول، حسبكم جهلاً وحماقة، عليكـم أن تعلمـوا أنكم ما زلتم لم تُدركوا كـثيرا مـن المثـالب الـتي وقـع فيهـا الكـثير مـن قبلهم، فكانت تلك وهذه المثالب هي التي أوصلتنا إلـى مـا وصـلنا إليـه

من المأساة التي يبدو أنها سوف تمتد إلى أمدٍ بعيدٍ ما لم نرتقي بعملنا فكرًا وتخطيطًا وتصورًا وخطابًا، وليس ذلك إلا بإعادة قراءة أحداث التأريخ، ثم فهم طرائق المعالجات الصائبة من زاوية بعد النظر العلمي والمعرفي الناتج عن حسن قراءة الماض وفهم حاضر تأريخ الوطن من أجل حسن تصور مستقبلٍ أفضل، ولن تكتمل هذه المطالب إلا بمعرفة صانعي الأحداث ضدنا، وليس بالانتصارات العاطفية الحماسية الجوفاء.

إنني لم ولا ولن أقلل من شأن أحد البتة، لكنني قارئ لأحداث التأريخ بمنهاج الاستقراء التحليلي أبعاد تلك الأحداث بكشف صانعيها، وإني كغيري من الإرتريين قد مات الكثير من أقاربي وأصدقائي في صفوف جبهة التحرير الإرترية وفروعها الكثير، لستُ إذا من كوكب آخر، أو من شعب آخر، بل من أصل وأعرق قبائل شعب إرتريا الأبية التي ناضلت حتى حققت جزءا من مطالب الوطن، لا ينبغي إذًا أن يتوهم أحدٌ منأَ بأنه هو الأولى والأحرى بجبهة التحرير الإرترية التي نؤمن

جميعًا بأنها رمزنا الوطني، ثم يتصدى للذب عن ضيعته الإرثية التي يقول بلسان حاله، أنه قد ورثها من أمٍ أو أبٍ أو عشيرةٍ.

أقول ويقول كثيرٌ غيري: إن كانت حقًا أن تجربة جبهة التحرير الإرترية خاصةٍ بهم أصالة، ليس بُدٌ إذًا من أن نعلم جميعًا من هم، ثم عليهم أن يعلمونا كيف اختصوا بها، وليس ذلك إلا بالتحقيق العلمي والعهود والمواثيق التي بموجبها حققوا هذه الملكية، أي ليس ذلك بأحاديث المقعدين غير المؤسس، لا ينبغي إذًا مثل هذا الاجترار الجاهلي الذي نسمعه منهم حينا بعد آخر، فالصحيح أن تجارب المجتمعات تكون في الأصل ملكًا للأمة، حتى لو كان فاعلها أو مخترعها فردٌ منها، سواءٌ في غربها، أو في شرقها، أو في جنوبها، أو في شمالها، أو في وسطها.

بل هي رصيدٌ معرفيٌّ للأمة كلها، وليس لجزء منها كما هو الحال في المجتمعات المدنية الحية التي تنشد الأفضل والأرقى دومًا، أما اجترارها كما تجتر الأنعام فَرْثَهَا، فذلك يدل على جهلٍ ومركب نقصٍ، ولهذا تحترم المجتمعات المدنية الحية رجالها الأشاوس من القادة

السياسيين والمقاتلين البواسل الذين قدموا أنفسهم ذباً عن الوطن، وكذا العلماء المبدعين في سائر العلوم والمعارف النظرية والتطبيقية في أي جزء من الوطن، ودوماً مثل هذه الأمة الحية تستفيد من رصيدها العلمي والمعرفي بدراسة كل جوانبه، لتعمل بالإيجابي منه، وتتجنب تكرار السلبي، أما أن تتخذه رمزا مقدَّساً لا يجوز الحديث عنه، فذلك عين الجهل والتخلف المقيت.

ولهذا فإن احترامنا وتعظيمنا لرموزنا الوطنية من السياسيين والعسكريين وكافة المناضلين والمبدعين، يظل من سمات الشعوب المتحضرة التي تُنْزلُ رجال الوطن منازلهم اللائقة بهم، وإننا إن لم نفعل كذلك تحققاً، فنحن إذاً شعبٌ لا يستحق الحياة الكريمة لما لم يُكرِّم قولا وعملا قادته وعلماءه، بيد أن هذا التكريم لا يعني أبداً تقديسهم ورفعهم فوق المنزلة البشرية، فنقول بعدم نقدهم على الإطلاق، وهو ما يقول به بعض الإخوة الكرام، سواء بلسان الحال أو بالمقال الصريح، وهنا أمرٌ ذي بال عظيمٍ ليس بدٌّ من الوقف عليه بغية معرفة أسبابه من أجل الاشتراك في صناعة واقع معاني الوعي البناء

ما دمنا ننشد التغيير الإيجابيِّ بدحض الأسـس الفكريـة للواقـع الـبئيس وقادته، والأمر ذي البال العظيم الذي أعني هو: ما هو التفسير العلمي المؤسس لبيان أسباب هزيمة جبهة التحرير الإرتريـة الـتي كـانت الأكـبر والأقوى، وأنها كانت تتمتع بجيش صعب المراس؟

أما قول أحدهم، ماذا قدمتُ أنا، فأجدني مضـطرا لأقـول لهـذا الأخ الكريم، وربما غيره، لستُ أقف على برجٍ وهميٍّ أتعالى من فوقه على الآخرين، ولستُ أفتخر بذلك، ولكـن للضـرورات أحكامهـا، ولكـل مقـام مقالٌ يناسبه في الزمان والمكـان، فـإني قـد ألفـتُ عـن تجربـة حركـة الجهاد الإسلامي الإرتري كتاباً من ثلاثة مجلد في نحو 850 صفحة مــن القطع الكبير بعنوان خارجي: (إرتريا والمأساة التأريخيـة)، وأمـا عنـوانه الداخلي بما أردته منه: فهو: (حركـة الجهـاد الإسـلامي الإرتـري النشـأة والنهاية)، وقد بينتُ فيه القوى التي نشأت منها حركة الجهـاد، وكيـف أن غالبها كان بدوي المخبر، وإن ظهـر فـي هيـأة المـدني، وحملـة بعـض شهادات العلم الشرعي وغيرها، وبينتُ فيه أيضـاً، كيـف أن اسـتخبارات الجبهة الشعبية والسودان تغلغلا فيها، وكيف أن النظام العالمي الجديد

انزعج من هذا الإعلان في غـرب البحـر الأحمـر، فوضـع بـالتواطؤ مـع بعض دول الإقليم خطط وأد حركة الجهاد، وقد كانت أبرز خططـه مـن خمسة محاور سياسية وأمنية ومالية، وقـد تـولى كبرهـا السـودان مـع الجبهة الشعبية، وأن بعض الدول العربية قد تورطت في تلـك الخطـط التي لم يكن بوسع قيادة حركة الجهاد فهما فـي وقتهـا وزمانهـا، بيمنـا كانت تلهث وراء ما زينته لها حكومـة السـودان الإسـلامية مـن حـوارات سياسية وأمنية كانت هي الوسيط والمتعهد فيها لضـمان مسـتقبلهم إن هم وافقوا للعمل مـع الجبهـة الشـعبية داخـل الـوطن، فـوقعت قيـادة الحركة في الفخ كما تم التخطيط له، وهذه الحقائق قد أثبتها بـالتوثيق بما صدر مـن ذات حركـة الجهـاد منفـردة، أو مـع الشـركاء السياسـيين المعارضين لحـزب الجبهـة الشـعبية الحـاكم، وكـان هـذا مـن الأسـباب المباشرة للانقسام الذي حصل فـي جسـم الحركـة بيـن تيـار الإخـوان المسلمين، وتيار السلفيين عملياً، بيد أن أحدٌ منهم لم يصرح بـذلك، ومـا كان ليحصل كل ذلك لو لم تكن غالب قيادة حركة الجهاد، بدوية جاهلة لم تدري عما كان يجري من حولها في عام وخـاص السـاحة الإرتريـة،

ولهذا فقد وصفتُهُمْ بـ: (المتمدينين اضطرارًا)، أي أنهم لم يصعدوا سُلم المدنية لقيادة مجتمع ذي واقعٍ سياسي بجدارة.-راجع الجزء الأول والثاني في كتاب إرتريا والمأساة التأريخية-.

وألفتُ أيضًا كتابًا من جزأين في نحو 750صفحة من القطع الكبير بعنوان: (إرتريا في قراءات سياسية)، وهو دراسات بحثية من أعظم موادها: السيادة الوطنية، واللغة وبعد الانتماء، وعلم التأريخ، والمثلث العفري، والتأريخ بين الحيدة عنه وقراءته بمقاصد، ولصالح من تخريب البيت الإرتري.....الخ.

وألفتُ كتابًا من الحجم المتوسط، آثرتُ عدم ذكر اسمه لحساسيته حتى ينشر، وقد بينتُ فيه أن بعض الحركات قد استغلها اليهود كما فعلوا بأشياعها منذ زمنٍ بعيدٍ، ولهذا ظل وسوف يظل المستفيد الوحيد من أعمال هذه الحركات، قوى العداء المحلي المتحالف مع واليهود، وبعض دول الإقليم والنظام العالمي الجديد بقيادة أميركا وحلفاؤها

الذين يعملون جميعا لتهيئة إرتريا لغير أهلها بخطـط علميـة ثابتـة بغثـة تمكين تجرنة إرتريا دينا وثقافة وتحالفات سياسـية، وهـو أمـرٌ لا يُخطئه كل مَن يُحسنُ القراءة.

وألفتُ كتاباً من الحـج م الصـغير بعنـوان: (خـواطر سياسـية)، وقـد جمعتُ فيه خواطري السياسية خلال الأعـوام الـتي عكفـتُ فيهـا علـى القراءة والكتابة بعد فشل حركة الجهـاد الإسـلامي، وكـل هـذه الكتـب معدة للنشر وإن أعاقها أفرادٌ من الجماعات الإسلامية خاصة، لكنها في العاجل أو الآجل سوف ترى النور-بمشيئة الله-، فيقرأهـا حاضـر وقابـل الأمة، وأنها سوف تكون من أعظم الوثائق التأريخية الإرترية التي هـي ملك للشعب الإرتري عامة، وللمسلمين خاصة، وأنها أيضـا سـوف تـثري مراجع المكتبة الإرترية والمكتبة العربية.

وإني الآن بصدد تأليف كتـابٍ عـن الأسـباب الحقيقيـة لهزيمـة جبهـة التحرير الإرترية بكل فصائلها أمام نجـاح الجبهـة الشـعبية، ولا أشـك أن هذا الكتاب سوف يكون من أعظم وثائق تأريخ الكفاح الإرتري المسلح

المتصل بـالمحيط الإقليمـي والـدولي فـي القـرن الإفريقـي والجزيـرة العربية ومنطقة الشام، وحتى مضيق هرمز حيث إيران والعراق.

وأيضًا إني بصدد تأليف كتابٍ روائي أدبي بعنوان: (الأحزان الثلاثـة)، والكتاب تجري فصول قصته بين يتيمٍ وعجيٍّ ولطيمٍ، وهو قراءة روائية معدة لدي لبيان مأساتنا من جهة البعد الأمني للحلفاء السياسيين الذين كان عليهم دعم القضية الإرترية من زاوية بعد نظـر إسـتراتيجي، لا لأن يتعاملوا مع الواقـع السياسـي والأمنـي الإقليمـي الإرتـري، عـبر أجهـزة استخباراتهم سيئة السمعة والنتائج.

وأما المقالات التي كتبتهـا فمنهـا: عاقبـة الطغـاة، وبغـد التلازم بيـن اللاجئين واللغة والأرض، وهل خطط تجرنـة إرتريـا سـتحقق أهـدافها، وقراءة متأنية لحقيقـة وطبيعـة صـراع الإثنيـة الإرتريـة، وكيـف يتحقـق التغييـر، وكيـف تبعـثرت أوراقنـا، وعشـرات المقـالات غيـر هـذه، وأن معظمها وجزء من الدراسات البحثية قد نُشرتْ فـي كـثير مـن المواقـع الإرترية منذ عام 2011م.

في عـام 2011م عقـدت المعارضـة الإرتريـة مـؤتمرا جامعـًا فـي إثيوبيا، وكنتُ ممن وقفوا بقوة فيه لتثبيت مسودة الدستور المقـترح لمـا بعـد زوال حـزب الجبهـة الشـعبية عـن الحكـم، أو جنـوحه إلـى السـلم والحوار مع القـوى السياسـية والمدنيـة الإرتريـة، بينمـا شـاهدنا بعـض التنظيمات الحاضرة الغائبة لم تحرك شـفاهها بكلمـة فـي ذلـك الشـأن العظيم، وهم قد جاؤوا بأعداد كبيرة من الأتباع،

وكأن الأمر كان مقررًا لأن يُحسم بالتصويت لصالح مـن سـيحكم إرتريـا مستقبلا بناء على أكثرية حضـور العضـوية فيـه، وبهـذه القـراءة، أقـول لشانئ كلامي، من كان منكم كذلك، أو خير من ذلك، أو حتى دون ذلك، فهذا يعني إنما نحن نحمل همًا واحدًا، فليدلني إذًا إلى إنتـاجه الفكـري الإيجابي لنستفيد منه، وبهذا فنحن أكثر أهلية ليحمل بعضنا بعضًا، ومـن كان ليس من أهل هذه الصـناعة، فليعـرف قـدر نفسـه، ولا ينبغـي أن يتطاول على الرجال، ويجب أن نفهم جميعًا أن الأمور بخواتمها وليـس بداياتها كما قرره أهل العلم مـن المسـلمين وغيـر المسـلمين، فلننظـر

دومًا إلى الخـواتم وليـس إلـى البـدايات الـتي يبـدأها ثـم يُضـحي فيهـا الصادقون، ثم يسرقها منهـم المكـارون، وهـذا لا يعنـي اسـقاط أولئك المُضحين الصادقين، ولا غمطهم.

وأمرٌ آخر يجب أن يفهـم الجميـع أيضـاً، أن كـل امـرئ يقـرأ أحـداث التأريخ، والظواهر الكونية، من زاوية بعد مكـونه الثقـافي الـذي يُكـوِّن فكره وفهمه، فلا تطالبوا الناس لأن يكونوا نسـخة منكـم إذا كـان لكـم حظ في هذا الميدان، أما من لم يكـن لـه حـظٌّ فيـه، فينبغـي أن يلـزم حده، وإن نحن لم نفهـم هـذه المعـاني بكـل أبعادهـا الفكريـة، فهـذا يعني: عقم فكري يلزمنا مراجعة أسبابه بصدقٍ وحياديـة، ولـن يتحقـق ذلك إلا بالتحرر مما كنا نمارسه بردود أفعالٍ كلما قتلت الجبهـة الشـعبية أحدُ أهم قياداتنا الثورية في كسلا وغيرها من العسكريين والسياسـيين والكفاءات المدنية، من قتل الثيران، ثم نأكلُ لحمها في جوٍّ مـن الجلبـة والضجيج، رافعين أصواتنا بتوعد الجبهة الشـعبية لإنـزال الويـل والثبـور في كافة ساحاتها، هذا ونحن نُزبدُ ونُرغِـي كـذبًا، ثـم لا شـيء يحصـل

علـى أرض، ثـم يقـول اليـوم قـائلهم: (إن الحـديث عـن جبهـة التحريـر الإرترية خط أحمر؟)

تبأً لهذا العقم الفكري الذي يتوهم صاحبه أن تجربـة جبهـة التحريـر الإرترية ملكا لجماعة من الإرتريين دون سواهم، فما الذي ينوي القيـام هذا، وضد مَنْ، هل يُريد لأن يعود بنـا إلـى أحـداث سـتينات وسـبعينات القرن الماضي، ليسجن ويعذب ويقتل بعضنا البعض، ثـم نُشـعل حربـا أهلية بيننا كما فعلتها فصائل جبهة التحرير الإرترية ضد بعضـها، أم إلـى أحداث تسعينات القرن الماضـي كمـا فعلـه أحـد أجنحـة حركـة الجهـاد الإسلامي الإرتري المدعي للسـلفية، إذ سـجن ثـم عـذب ثـم قتـل مـن خالفه داخل كسلا وفي معسكر الفوا وفـي الميـدان بيـن المجاهـدين، وكل هؤلاء وهؤلاء إنمـا خـدموا أهـداف الأعـادي، ولا أقـول كـذلك إلا بقراءة حقائق التأريخ التي على أرض الواقع.

والسؤال في جزئية مـدعي رسـم الخـط الأحمـر بيننـا، مَـن الـذي خول هذا القائل حق إصدار هذا التهديد ضد الآخرين في قراءة تحليلية

لأحداث التأريخ الذي يعني الأمة كلها، وأين ومـتى يُريـد أن يرسـم بيننـا الخط الأحمر، وما طبيعة هذا الخط، وما هي مبرراته الدينية والأخلاقية والسياسية اللازمة لذلك، بينما الحديث لـم يتجـاوز قـراءة تجربـة عامـة هي ملك الأمة الإرترية، وليس حظه فيها، إلا كحـظ أي فـرد مـن الأمـة الإرترية دون زيادة ولا نقصان قدر قطمير؟

أليس من الواجب إن كان صادقًا وقـادرًا، أن يرسـم الخـط الأحمـر بين القاسط الظالم المستبد، والمقسط المظلوم المعتدى عليه، فيكبـت بذلك الظالم المعتدي بالجمع بين سلاح السنان أو القلم، وكان عليه أن يسألني عما أردته من قولي: (قيادات جاهلة بدويـة)، فـإن كنـتُ مُخطئًا صوبني بحق الإخاء الذي بيننا، وإن كنتُ على الصواب يسلم للحق الذي هو بغيتنا وديدنا من أجـل إحـداث تغييـر إيجـابي فـي وطننـا الـذي تـم إقصاؤنا منه غمطًا وظلمًا واستبدادًا.

آخر القول، أدعوا كافة الإخوة والأخـوات الكـرام لأن يرتفعـوا إلـى الحديث عن معاناتا الجامعة التي هي مـن أصـل طبيعـة الخصـم بكـل أبعاد ما تقتضيه خطط تجرنة إرتريا، فقد تم إقصاؤنا عن شؤون وطننـا

بإقصائنا من كافة إدارات الدولة الإرترية، واستُبدلت اللغـة العربيـة الـتي أجمعنا عليها، بلهجة التجرينيا لكي تظهـر إرتريـا بمشـهد التجرينيـا الـذي يعني النصرانية التي لا حظ فيها للإسلام، وتـم انتهـاك أعراضـنا، وتمـت سرقت جهودنا الوطنية التليدة والمعاصـرة، وزُوِّر تأريخنـا الناصـع الـذي أبقى إرتريا بخريطتها ومكونهـا الإثنـي الحـالي، بعـد أن أرادوا سـمطها بمكونها تماماً، وتم سلب أرضنا بعمليات الاستيطان الشبيهة فـي بعـدها التأريخي، باستيطان إسرائيل فـي أرض فلسـطين تمامـاً، هـذا بصـرف النظر عن الأسماء والآليات والأدوات الـتي تمثـل إحـدى الإثنيـة، وكافـة هذه الحقوق بدقها وجلهـا لا ولـن تُسـترد إلا بمعرفـة طبيعـة الخصـم، وطبيعـة المعركـة الـتي يُـديرها ضـدنا، ثـم مواجهتهمـا بالسـلاح الـذي يناسبهما في الزمان والمكان، ولا يتحقق ذلك إلا بالاجتماع على الجمع بين السنان والقلم، وذلك بعد معرفة أن لا مكان لرسم خط أحمر بيننا.

ولكم جميعا تحياتي.

أبو أسامة المعلم 13/05/1438--- Feb.2017/09